ب ـ فى العادات

مضار التوسع فى الحفلات

ملكة — ما قولكِ يا أختى فى هذه الحفلة البديعة ، وما جمعتْ من أسبابِ السرور والانشراح ؟ ألا توافقيننى على كونها أجملَ حفلة عُرس حضرناها فى حياتنا ؟

عزيزة — نعم هى حفلة بديعة . ولكنى أرى أن فى إقامة الافراح شيئاً كثيرًا من الإسراف . أليس من الصواب اِدِّخارُ هذا المال الكثير ، لينفع الزوجين وأولادَهما فى المستقبل ؟

ملكة — إننى لا أرى ما تَرَيْن : أُنظرى إلى هـذه الأنوار المتلألئة ، والأعلام المنشورة ، وما حولها من طاقات الرياحين ، وهذه نغمات الموسيقى تَزيد بهجةَ الاحتفال ، والمدعواتُ يَرْفُلن فى أجمل حُلَلِ البهاء ، مُتَبَخْتِرات ، تنظر كلٌّ إلى الأخرى مُعْجَبَةً بملابسها الجميلة . هذا إلى ماهنالك من حُلِيٍّ وجواهر كريمة . ولا تَنْسَىْ الأطعمة اللذيذة والتمتع بالسَّمَر إلى ما بعد مُنْتَصف الليل . هـذا متاع الحياة الدنيا ، فكيف تريدين أن نُحْرَمَه ؟

عزيزة — عجباً ! إنك تنظرين للموضوع من جهة وأنا أنظر إليه

من جهة أُخرى: إنما أَعْنى الإسرافَ والتبذير، وإنفاق المال فى غير موضعه وَوِجْهَتِه المشروعة، فهذا ما أعترضُ عليه. وإنى أمقُت أيضاً الاستدانةَ للتوسع فى إحياء الليالى الساهرة، حتى إذا أصبح الصباح حَلَّ الهمّ من النفس محل الانشراح والأنس، ووجد صاحب الدعوة نفسه وقد بَهَظَه الدَيْن وتملَّكه الندم على إفراطه وسوء تدبيره، ولاتَ ساعةَ مَنْدَم. هذا عدا ما تعطيه المَدْعُوّاتُ المغنياتِ والراقصاتِ من الهِبات، مما يُعْتَبر دَيْناً على العروس وأهْلها: فاذا أقامت إحدى المدعوات مُحْتَفَلاً من هذا القبيل، ولم تذهب العروس وأهلها لرد الجميل، اعْتُبِرَ ذلك عملاً شائناً. كل هذه عادات غير محمودة، وقد آن الأوان أن نُقلع عنها

خالتهما — يظهر أنكما تتناقشان فى أمر مُهِم كما هو شأنكما، فهل وصلْتُما إلى حل مسألة عامضة؟

ملكة — إننا يا خالتى نبحث فى عادة الأفراح، والشىء بالشىء يُذْكَر. فأختى تَعْتَرِض على ذلك، وتَبغى أن نُحَرِّم هذا المتاع الجميل، دَفْعاً للإسراف، وما ينشأ عنه من الديون

خالتهما — لقد أصبتِ يا عزيزةُ المَرْمَى. ولو بذل كلٌّ ماله فيما ينفع، لأصبحت الأُمة فى يُسْرٍ ورخاء، وَلَمَا وقع كثير من الناس فى شَرَكِ الإفلاس. فيجب أن يسير كل على حسب طاقته، وما أصْدَق المثلَ القائلَ «على قدر لحافِك مُدَّ رِجْلَك»، والتقليد الأعمى مُضِرٌّ جداً. فلا بَأْس بالاحتفال للعُرْس، مع التوسط والاعتدال. وخير الامور الوسط

ضرر التبذير وحكمة التوفير

السيدة فريدة — ما أَجْمَلَ هـذا الثوبَ الذى تَلْبَسينه ! فإنه يجمع الى الرشاقة سلامةَ الذَّوْق . فمِنْ أين اشتريت نسيجه وَمَنْ هى الخائطة التى خاطته لك ؟

السيدة عائشة — أمَّا النسيج فقد اشتراه لى زوجى بعد أن رأيتُ نَمُوذَجاً منه . وأما التفصيل والخياطة فقد قمت بهما بنفسى كما هى عادتى : فجميع ملابسى إلا قليلا وكذا ملابس زوجى من القُمْصان والجلابيب والزيوق أخيطها بنفسى

السيدة فريدة — ولكن هل تجدين عندك من الوقت والصبر مُتَّسَعاً لكل هذا ؟

السيدة عائشة — نعم إن هذا العمل أُؤَدِّيه فى أوقات الفراغ حَذَر الكَسَل، وفِراراً من السآمة والملل. وزوجى لايحب من الملابس إلا ما أصنعُه بيدى . وإننا نفتخر بذلك

السيدة فريدة — أرى أن هذا ليس من شأن السيدات الرفيعات أمثالِنا ، بل هو من عمل الفقيرات ، لأنهن لا يقْدِرْن على دفع أجور الخائطات ، أما نحن فلنا مِنْ يُسْرِنا غُنْية

السيدة عائشة — قلتُ لك يا أختى إننى أقوم بهذا العمل تَرْوِيحاً

عن النفس ، فلا أجد فيه مَشَقَةً البَتَّة . وإنى لا أخيط الثوب فى يوم واحد ولا فى ساعة واحدة ، بل فى ساعات متفرقة كلما وجدتُ الفُرْصَة سانحة . نعم عندنا المالُ الكافى كما تقولين ، ولكن مَنْ يعلم ما يُخَبِّئُه الدهر ؟ والواجب ألا نُنفِقَ كل إيرادنا ، بل نَدَّخِرَ منه جزءًا نتقى به طوارئ الزمان ، وطوارق الحِدْثان : ألا تَرَيْنَ كيف تسعى النملة فى الصيف لخزْنِ ما تَقْتاتُ به فى الشتاء ؟ فاذا كان هذا هو حال تلك الحشَرَةِ الحقيرة ، فما أجْدَرَ الانسانَ ، الذى شَرَّفه الله على سائر مخلوقاته بالعقل والفكر ، أن يَتَبَصَّرَ فى العواقب ! قال تعالى « إنَّ المُبَذِّرين كانوا إخوانَ الشياطين »

السيدة فريدة — إذًا من رأْيِكِ التقتيرُ ، وتقليلُ أبواب الإنفاق : فلا ضرورةَ للخدم ، ولا للطعام الشَّهِىّ ، ولا للملابس الجميلة ، ولا السُّكْنَى فى الجهات الصحية وهكذا

السيدة عائشة — لقد أخطأْتِ فَهْمَ غَرَضِى : فان الاقتصاد ليس معناه التقتير ، بل ادِّخارُ جزء من دَخْل الإنسان لينفعه وقت الضرورة . فالغنىُّ الذى يبلغ دخله فى الشهر ألفَ جنيهٍ ، يمكنه أن يَدَّخر منها مائتى جنيه مثلا . والفقير الذى يكسِب فى اليوم عشرة قروش ، قد يقتصد منها قرشين ، ويُنفق الثمانية على نفسه وعياله وهكذا . ولما كان الاقتصاد من ضروريات الحياة ، وكان كثير من الناس لا يعرف كيف يَحْتَفِظُ بما يَدَّخره من مكسبه ، أنشأت الحكومة صناديق التوفير بمكاتب البريد ، وعَمَّمَتْها فى جميع بلدان القطر المصرى ، ليسهُل

على الناس إيداع أموالهم فيها . حتى إذا اضْطُرُّوا يوماً لَجَئُوا إليها . ولتعويد الصغار التوفير ، وغرس ملكة الاقتصاد فيهم ، بادرت وزارة المعارف الى إدْخال نفس هذه الطريقة فى المدارس ، حتى يَشِبَّ الولدُ والبنتُ على حب الاقتصاد من الصغر

السيدة فريدة — لقد قلتِ حقًّا ونَثَرْتِ دُرَرًا غالية . عَهِدْناكِ فى الصغر فتاة امتازت بالأدب ، ورأيناكِ فى الكبر سَيِّدَة مُدَبِّرَة ، عاقلة حازمة . حفظكِ الله ورعاكِ بعين عِنايته

الماتم

ذهبت الآنسة عديلة لزيارة شقيقتها السيدة عائشة ، فرأتها مَوْعُوكة . مُصْفَرَّة الوجه ، محمرة العينين : ودَلَّ تثاؤبها على ما بها من كَسَل وتَعَب . فسألتها قائلة:

الآنسة عديلة — مالى أراكِ كمن أصابه بَرْدٌ أو زُكام ؟

السيدة عائشة — دام سهرى طولَ ليلة أمس ، فما قَرَّ لى جَنْب

الآنسة عديلة — ولما ذا ؟

السيدة عائشة — تُوُفِّيَ ابنُ جارتنا قُبَيْلَ الغروب ، فملأت الدنيا صياحاً وعويلاً ، وصارت تَصْرُخ وتَلطِمُ وجهها . ولقرب منزلها من منزلنا كان يَرِنُّ فى بيتنا صَدَى اللطم والصراخ ، فلم أنم ساعة

واحدة من الليل كلّه

الآنسة عديلة — مسكينة هـذه المرأة . ما أصعبَ الفراق ! حقًّا إنها لمعذورة فيما فعلت

السيدة عائشة — حقيقة هى مسكينة وتستحق الإشفاق . ولكن لا ينبغى لها أن تُقْلِقَ راحة الجيران هكذا . إذْ لَها أن تَحْزَنَ وتبكى ، وليس لها أن تفعل فعل المجانين. فحلول المصائب يُظهر الفرق بين المرأتين ، المُرَبَّاةِ والجاهلةِ : إذ الأولى تستعين بالصبر والجَلَد ، وتجتهد فى تسكين آلامها وأحزانها، ولا تَسْتَسْلِمُ إلى البُكاء والنحيب، عملا بقوله تعالى « وبشِّرِ الصَّابرين الذين إذا أصابتْهُم مُصيبَةٌ قالوا إنَّا لِلّهِ وإنَّا إليه راجِعُون ، أُولئِكَ عليهم صَلَواتٌ من رَبِّهِم ورحمةٌ ، وأُولئك هُم المُهْتَدُون »، أما الثانية فعند حُلول المصاب تَفْقد رُشْدَها ، وَيَضِيع صوابها ، فيشتد هِياجُها ، وتصير كالغريق ، لا يَدْرِى كيف الخلاص مما دَهاه

الآنسة عديلة — صحيح ما تقولين . لكن أظن أن جارتك خَفَّ حزنها نوعًا مَا فى الغداة ، عند حضور أهلها وصاحباتها ، لتعزيتها فى مُصابها الأليم

السيدة عائشة — كان الأمر على عكس ما تَظُنِّينَ : لأنهن زِدْنَ اللهب اشْتِعالاً . والحزن شدة ، كمن أراد أن يُطفئ نارًا فصب عليها زيتًا . فحين دخلْنَ المنزل ، ارتفع صوتهن بالصراخ كمن أُصيب بالصَّرَع ، وَوَلْوَلْن بعبارات تُثير الحزن من مَكْمَنِه ، وتبعث الوَجْدَ

من أعماق القلوب . وهذا ما يسمّينه بالعزاء ، فما أَشْنَعَه مِنْ عَزاء :

الآنسة عديلة — أكان للمُتَوَفّى جَنازة مُوَقَّرة ؟

السيدة عائشة — كانت على ما يناسب جهلهم : لأن أُمه أبت إلا أن يؤتى بموسيقى ، تَعْزِف أمامه بألحان محزنة ، وَجُندٍ يمشون أمام النعش ، على أنه لم يكن جُنْديًّا ولا ضابطاً ، وما كان إلا تاجرًا متوسط الحال . ثم جيءَ بِحَمَلَةِ القماقم والمباخر . وسار فى مقدمة الجنازة فئةٌ من الرُّعاع القَذِرين يُنْشِدون ألفاظاً غير مفهومة . وفى مُؤَخَّرتها نسوة مُلَطِّخات الوجوه والأيدى بالطين و « النيلة » ، صائحاتٍ نائحاتٍ ، مُوَلْوِلاتٍ مُعْوِلاتٍ ، يُزْعِجْنَ المارَّة وَيَقْبِضْنَ النفوس بمنظرهن الشنيع

الآنسة عديلة — إن جميع ماذكرتِ قد أبطله العقلاء ، ولا يأتيه اليوم إلا الجَهَلةُ والغَوْغاء من الأمة . ولقد شاهدتُ فى طريق منذ يومين جنازة فى غاية المهابة والوقار : هى نَعْش يتبعه المُشَيِّعون أفواجاً ، سائرين صامتين ، مُطْرِقين كأَنَّ على رؤوسهمُ الطير . فيا ليت كل الناس يحْذُون حَذْوَهم ، إِذِ الغرض من تشييع الجنازة الاعتبار بالموت والذكرى ، حتى تَخْشَع القلوب ، وترجع الأنفس عن غَيِّها ، وتعلم أن الدنيا عَرَضٌ زائل ، وأن الآخرة خير وأبقى ، والعاقبة للمتقين

الزار

ثلاثةٌ تَشْقَى بها الدارُ العُرس والمأتم والزارُ

السيدة التى تفكر فى الزار وتَهْتَمُّ بشأنه ، وتَعْقِد له المُحْتَفَلات ، بعيدة عن التَّعَقُّل والرُّشْد ، مُحَقَّرة عند الرجال العقلاء ، مُنْتَقَدة عند السيدات المهذَّبات . فما أخجلَها أن يُذكر اسمُها مَقْرُونًا بهذه العادة الذميمة ! وإن السيدة الكريمة العاقلة . لا يصح أن تشترى بالمال الكثير أنواع المَصُوغات ، تخزنُها لوقت الاحتفال السنوى ، وتحتفظ بها فى صُندوق مُغْلَق ، لعلمها أنْ لا قيمة لها إلا فى ذلك اليوم المَمْقُوت . وما كان أجْدَرَها أن تشترىَ شيئًا مفيداً أو حُلِيًّا نافعًا : والذى يَزيد هول المصاب ، ما يُنفَق لإعداد المأكل والمَشْرَب والذبائح لجماعات المدعوَّات . فهل يليق بسيدات يَحْتَرِمْنَ أنفسهن وَيَخْشَيْنَ الله ، أن يَعْقِدن أمثال هذه المُحْتَفلات ، التى يَخْرجن فيها عن سياج الوَقار والكرامة ؟ أَلاَ إنَّ الزار يُزْعِجُ الجيران ليلاً ونهاراً بطبل نعوذ بالله من صَدَاه : فهو يَصْدَعُ القلوب ، وَيَقْرَع الآذان ، ويُؤْذى الأعصاب السليمة . يَصْحَبُه تَرْنيم قبيح مَمْقوت ، يَملأ القلوب المطمَئِنَّةَ فَزَعًا وَوَجَلاً . ألا ترى هذه الجاهلةُ أن الأُسَرات مِنْ حَوْلِها يطلبون الراحة فى سكون الليل البهيم ؛ وهى تحرمهم إياها بأقبح الوسائل ،

وأكرهِ المُنفِرات لِما يَجْلِبُهُ من الضَّرر ، وما يستدعيه من التبذير والإسراف ؛ فما هو إلا شرَكٌ يُنْصَب لِسلْب الأموال ، ووسيلةٌ من وسائل فساد الأخلاق . ولا شيء أنفعُ لِعَصَبِيَّات المِزاج من تبديل الهواء والاستراضة . ويُستَشار الطبيب إذا دعت الحال

زيارة المقابر

من العاداتِ الذميمة عند نساء مصر ، تردُّدُهُنَّ على المقابر والاهتمام بها . فإن المرأة إذا مات طفلها أو أحد أفراد اسرتها ، لا تَنْسَى أن تَتوجَّه فى فجر كل يوم جُمُعة إلى مَدْفن الفقيد ، مُصْطَحِبَةً بعضَ قريباتِها أو جاراتها ، حاملةً الكثير من المآكل والمشارب ، للتصدق به على من يطوفون بالمدافن والجبَّانات من الشحَّاذين ، مع أنّ معظم هؤلاء النسوة أحق بما يُنفِقْنَه فى عمل الفَطير والكعك ، وشراء الفاكهة وغيرها من شحَّاذى المقابر . هذا إلى أنهم ليسوا محلا للصدقة ، ولا أهلا للإحسان ، لاتخاذهم الشَّحذ حِرْفةً وذَريعةً للمكسب ، لا لِسدِّ الرَّمَق . فما أسْخَفَ ما تعمله النساء الجاهلات من الذهاب أيامَ الجُمَع والمواسِم والأعياد ، جماعاتٍ وَزَرافاتٍ ، تتعثَّرْن فى أذيالهن إلى المقابر ، كأنهن ذاهباتٌ لجلْب خير أو جر مَغْنَم . فما أقبحها مِنْ عادة مُستَهْجَنَة ، ليس فيها من فائدة للميت تَعُودُ

عليه فى حياته الأخْرَوِية

على أن زيارة القبور ليست مسنونةً إلا للاعتبار وذِكْرى الموت، فإن الذكرى تَنْفَعُ المُؤْمنين

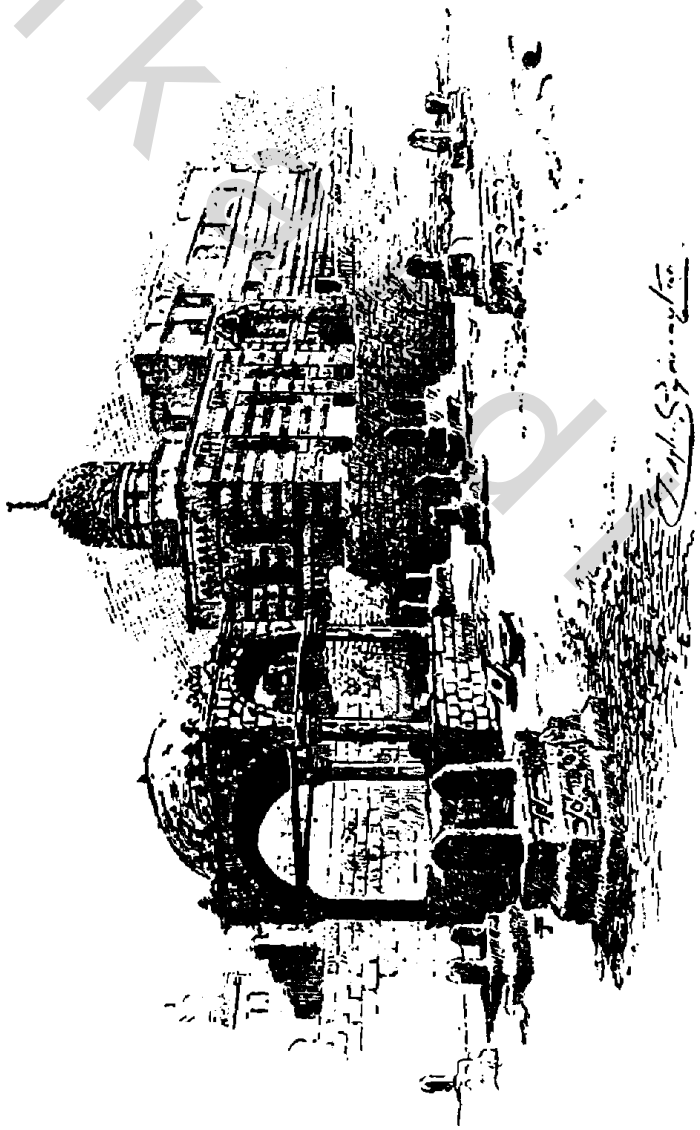

زيارةُ المقابرِ لَيْسَتْ مَسْنُونَةً إلا للاعتبارِ وذِكْرى المَوْت

زيارة الأضرحة

عائشة — إنكِ يا فِرْدَوْسُ لم تكُونى فى المنزل صبيحة أمس، لأنى ذهبت لزيارتك فلم أجِدْكِ ، فأين كنتِ يا صديقتى ؟

فردوس — كنت قد خرجت مع جَدتى لزيارة السيدة زينب كما هى عادتها ، فهى تزور السيدة فى يوم الاحد ، وسيدنا الحسين فى يوم الثلاثاء ، والمحمدىّ فى يوم الخميس . ولما كنت مريضة فى الشهر الماضى ، نَذَرْت للسيدة حُزمةَ شمعٍ ونصفَ ريال للصُّندوق إذا أنا شُفيت من مرضى ، وها قد تَمَّ لى ذلك فذهبنا لِوَفاء النذر

عائشة — وما فائدة هذه الزيارات للأولياء ؟

فردوس — تقول جَدتى : إن هؤلاء هم أهل الخطوة ، وإن رضاهم عنا ينفعنا فى الدنيا والآخرة . ولذا فهى تَتَرَدَّدُ على أَضْرِحَتِهم وتُقَبِّل عَتَباتِهم وسِياجَ قبورهم ، وتتوسل بهم لقضاء حاجاتها وتفريج همومها ، وإبعاد المصائب والأمراض عنها

عائشة — إن هذا يا أختى لَضَلال مبين : فإن الذى يَقْضِى الحاجاتِ ، ويُفَرِّجُ الهمومَ ، ويُبْعِد المصائب ، ويَشْفِى الأمراض ، هو الله جَلَّ شأنُه ، لا شريك له فى ملكه ، ولا يصح أن نعتقد غير ذلك . وتقبيلُ الحجارة والعُمُدِ ، وكذا التَّيَمُّن بالنُّحاس المصنوع

منه السياج ، والصِّياح بطلب قضاء الحاجات من صاحب الضريح ، كل أولئك من الإشراك بالله .

فردوس — إذًا أنْتِ تعتقدين أن هؤلاء الأولياء كعامَّةِ الناس لا يمتازون عنهم بشئ !

عائشة — لا ياصديقتى ، فإنهم يمتازون بصلاحهم وتَقْواهم ومُؤَلَّفاتهم الجليلة النافعة ، ونصائحهم وإرشادهم فى حياتهم . فاحْتِرامُنا لهؤلاء الأولياء هو باتِّباع نصائحهم الدينيـة والأدبية ، والاسترشاد بآرائهم السَّدِيدَة وعِظاتهم البالغة لا غير ولو علموا رضىَ الله عنهم بما يَصْنَع فى أَضْرِحتهم من هـذه المنكَرات لاسْتَقْبَحوه واستغفروا الله منه

الحُجُبُ والتَّمائِم

سعاد — ما هذا الذى تحت إبْطِك يا زينب ؟

زينب — هـذا حجاب أَلْبَسَتْنيه أُمى يوم ولادتى ، ولَمَّا كَبِرْتُ حَذَّرتنى خَلْعَه حتى وقت النوم

سـعاد — ألم تسأليها عن السبب ؟

زينب — بلى ، فقد قالت : إنه مات لهـا عشرة أطفال قبل أن أُولد ، فأَرْشَدَتْها إحدى جاراتها إلى رجل وَرِع ، يَعْتَقِدُ صَلاحَه وتقواه جميع أهل الخُط ، فـكتب لها هذا الحجاب وأوصاها أن

تُلْبِسَنِيه عند ولادتى ، ولذا عشت ولم أمت مثل إخوتى .

سـعاد — وهل أعطته أُمك شيئاً ؟

زينب — تقول : إنهـا كانت تملِكُ سِوارًا من ذهب ثَمَنُه ثمانية جنيهات ، فباعته وأعطت هـذا الرجل خمسة جنيهات لأنه لم يرْضَ بأقلَّ من ذلك

سعاد — إذاً قد اشترت حياتك بخمسة جنيهات ، ولولا ذلك لـكنت فى جملة الأموات

زينب — فَسِّرى ما شِئْتِ ، فالأمر كما أوضحتُه لك

سـعاد — ما أقبح الجهل فإنه يُعمى الأبصار ويُلْقى بصاحبه إلى التَّهْلُـكة ! ألا تعلمين أن الحياة والموت بإذن الله تعالى ؟ وأن لـكل أجل كتابا ؟ وأن الله لا يُشْرِكُ فى حكمه أحـداً من عباده ، حتى الأنبياء والمرسلين أنفسهم ؟ فاعتقاد مِثْلِ هذا مخالفٌ للشرع الشريف ، ولولا الجهلُ الضارب أطْنابَه بيننا لما وُجِدَ أمثالُ هذا المحتال : هـذا نوع من السلب والخديعة ، وتَفَنُّن فى الغش وسلب المـال

زينب — إن كلامك لَمُؤَثِّر جدا ، ولا سيما ان أُمى فقيرة ، ولم يمكنها حتى الآن تعويضُ السوار

سعاد — الآن وقد كَبِرتِ يازينبُ ، وتعلمتِ وتبيَّن لك الحق ، يَحْسُن أن تَنْزعى هذه التمائمَ ولا تُضحِكى العقلاء منـك ، واجعلى ثِقَتَكِ فى الله عز وجل ، فهو عـلّامُ الغيوب ، يحيي ويُميت ، وهو على كل شئ قدير

هذا دجّال يحتال على ضعيفات العقول بكتابة الحجب والتعاويذ

زينب — إنى أطيعك فيما تقولين : وهأنذا أنزع عنى هـذا الحجاب ، وسأخبر أمى بنتيجة هذا الحديث، لِتَنْصَح جاراتِها وأقاربَها بعدم إتيان ما يُماثل ذلك فى المستقبل

قياس الأثر

ذهب رجل لزيارة أُخته فى منزلها فلم يجدها ، فسأل عنها ابنتها فقالت: إنها حملت ابنها الرضيع، وذهبت لتقيس له الأثر ، لأنه مريض منذ عشرة أيام ، وهو يَسْعل سُعالا شديدا ، وحرارة جسمه عظيمة . فقال الرجل: وهَلْ عُرِض على الطبيب ؟ فقالت الفتاة: لا ، لأن أُمى ترى أنْ لا فائِدَةَ فى الطِبّ والأطباء ، وقَصَرَتْ هَمَّها على العـلاج بالطرق الوَهْمِيَّة الخرافية : فأرسلتْ أخى ثلاثة أيام متوالية للمرأة التى تَلْحَسُ الأطفال ، فلم تحسن حالته ، بل انقلبت إلى أسوأ ، ثم بخَّرته ببَخُور البر والمُصْطكى وكُناسة العطار ، فلم يُجْدِ ذلك نَفْعاً . فدعت الرجل الذى يَمُرُّ على الأبواب قائلا إنه يخْرِج الدُّود من أُنوف الأطفال . فوضع يده على رأس أخى وصار يُهَمْهِمُ بكلام لم نفهمه ، فتساقط الدود من أنفه كثيرا ، وأنا لم أُصَدِّقْ أن كل هذا الدود كان فى أنف أخى . على أن ذلك كلَّهُ لم يُثْمر ، ولما أَعْيَت الحِيَلُ أمى، ذهبت لمن يقيس الأثر ،فلما رأى الولد،أعطاها ثلاث ورقات مطْوية،

حملت ابنها الرضيع وذهبت لتقيس له الأثر

وأوصاها بتبخيره بها ثلاثَ مرات فى ثلاث ليال متوالية ، وقال لها : إنْ عاش بعد ذلك فأحضريه لأراه مرةً أخرى . وقد فعلتْ لأن هذا هو اليوم الرابع بعد زيارتها لهذا الدَّجال . فلما سمع الرجل ذلك الكلام خرج مُسْرِعا ، واستدعى طبيبا . ولما عاد وجد أخته قد رجعت ، فسألها عن حال الطفل ، فقالت : إنها سيئة ، وكلَّ يوم لا يزداد إلا وبالا ، وقد أعطانى الشيخ عاشور ثلاثَ ورقاتٍ أُخرى ، وإنى قد يَئِسْتُ . فقال الرجل : إنكِ ياأُختى قد جرَّبتِ كل شئ إلا الطبيب . فأجابتْ: إننى لا أحب الطب ولا الأطباء ، فان والدتنا رحمها الله كانت دائما تَنْهانى عن إدخال الطبيب مَنْزِلَنا ، لانَ دخوله شُؤْم . فقال : يا أُختى إنى قد استدعيت طبيبا إخصائيا فى أمراض الأطفال ، وها هو جالس فى غرفة الاستقبال ، فلا تمانعينى أن أعْرِضَ عليه الولد ، لَعلَّه يصف شيئاً يُحَسِّنُ حالته . فقالت افعل ماشئت .

ففحصه الطبيب ، واتضح له أنه مصاب بالحمَّى ، وحالته مُخْطِرَة إن لم يُسْعَفْ بالدواء . فكتب تَذْكِرَةً استُحضِرت على عَجَل ، وأُعْطِىَ الطفلُ الدواءَ على حسب إرشاد الطبيب ، فانخفضت درجة حرارته ، وأخذَتْ حالتُه تتحسن شيئا فشيئا ، ونام تلك الليلة نوماً هادِئًا . فلما رأت ذلك أُمه واظبت على اتباع العلاج حتى شُفِىَ تماماً بعد أيام قلائل . فما كان أغنى هذه الأم عن اتباع خُطُوات الجهل والتَّعلُّق بأهدابه ! وما كان أَوْلاها من أوّل الأمر أن تَدْرَأَ المرض عن ولدها بالعلاج الشَّافى !

فعليكِ أيتها الفتاة العاقلة أن تتَّعِظِي بهذا الحادث وما يُماثله ، إن فى ذلك لَعِبْرَةً لِأولى الألْباب

مضار تخويف الأطفال

كثير من البنات قد سمع كلمة « بعبع » مرارا وتكْرارا ولكن لا يعرفْن معناها . ولو قالت إحداهن « بعبع بعبع بعبع » بصوت عال لكانت كأنها تقلِّد صوت الجمل . وهذه هى الكلمة التى ارتعدت منها فرائِصُ الاطفال،وسكت بها الحس ، وربما تَشَنَّجَتِ الأعصاب. والسبب فى شُيُوع هذه الكلمة ، أن أُمًّا من الأمهات الجاهلات بكت ابنتُها الطفلة الصغيرة ، فبَدَلَ أن تَبْحَث عن سبب بكائها ، وَتُعْمِلَ جُهْدَها فى علاجه ، أحدثت لها هذا الصوت المُسْتَنْكَر ، مشفوعا بقولها : ها قد جاء ليأكلك . فتتوهمه الابنة حيوانا كاسِرا ، قد أتى لِيَغْتال حياتها ، معتقدة صحة هذا الخيال الباطل، لانها طِفْلة ليس لها عَهْدٌ بالكذب ، فتسكت على مَضَض ، فترتاحُ الأُم غيرَ حاسِبةٍ أنها إنما تربى فى ابنتها الخوف والرُّعب ، الذى ربما تحدث منه الوفاة فَجْأَةً

ومثل « البعبع » جميع الأفانين الباطلة التى تخترعها الأمهات الجاهلات ، لتكون وسيلة سَهْلة لِكَبْح جِماح الطفل ، والحَيْلولة

بينه و بين أغراضه . إذ لا يعرِفْن لذلك وسيلةً أُخرى ، فينشأ هَيَّابًا وَكِلاً ، خائر القوى ، يَفْزَع لصغار الحوادث ، ولا يَقْوَى على مُواجهة صُرُوف الايام

الخوف والفزع

فأين هذه الأم مِنْ تلك الأم الراقية ، التى تُرْضِعُ طفلَها مع اللبن ثَباتَ الجَنان والشجاعة ، فلا تجعل للخوف والفزع سبيلاً إلى فؤاده. أَلاَ إنَّها بذلك تُعِدُّه لِمُلاقاة الشدائد ومُقارعةِ صُرُوفِ الدهر، وبمثله تَعِزُّ الأمة ، ويشتد ساعِدُها ، ويُحْمَى حماها

دعاء الأم على أولادها

« بين رجل وزوجته »

الرجل — لماذا كلُّ هذا السُّخْط وهذا الدعاء على ابنتك ؟

الزوجة — لقد زَهَقَت رُوحى منها وهى لاتسكت ولا تهْدَأ

الرجل — وماذا عمِلَت ؟

الزوجة — إنها تعاكس أخاها الصغير فيصْرُخ ويتألم

الرجل — وهل تعمل هذا دائما ؟

الزوجة — هى لا ترجع عن معاكسته وَخَطْفِ مابيده فيُكثر من الصَّخَب وتعلو الضَّوْضاء

الرجل — وهل وَجدْتِ أن دعاءك عليها على هذه الكيفية الشنيعة، وصُراخَك فى وجهها ، وإزْعاجها ، تُرجعها عن غيها ، فتنتهى عن أعمالها هذه ؟

الزوجة — كلاَّ، فإنها تزداد عِناداً ! ولقد سئِمْتُ العيشة معها

الرجل — الحمد لله قد تبين لك أمر كان خَفِيًّا عليك . فالواجب أن تَرجعى عن هذا الصُّراخ والعَوِيل لترجع هى أيضاً

الزوجة — وهل هى تعمل ذلك لأنى أشْتِمُها وأدعُو عليها ؟

الرجل — لا، بل إن غرضى أن تفكِّرى فى شئ ناجع غير

هذا السبّ واللعن . فلو جئتِ إليها بهدوء ، وأفهمتها بأسلوب لطيف ، أن عملها هذا مع أخيها غير محمود ، أو لو عاقبتها بأخذ لُعْبتها منها أو حِذائها الجديد ، أو بحرمانها من فسحة معك ، لكان أنفع . فاذا هى استقامت وَحَسُن سلوكها فى معاملتها له ، فرُدّى إليها ما أخذت ، وارفعى عنها ملامَك وعقابك ، بشرط أن تفهم أن مثل هذا العقاب واقعٌ بها إنْ هى عادت

الزوجة — هذه ابنة لا ينفع فيها شئ

الرجل — جرّبى ما أقول ترتاحى . وإنى آسِفٌ إذْ سمعتُها يوما وقد أغضبها أخوها تدعو عليه بكلام مثل الذى تسمعه منك . فأنتِ مثالٌ غيرُ حَسَنٍ لها . هذا إلى أَنَّ هذه الشتيمَة الكريهة هى لغة لا تفهمها هذه الطِّفْلة ، ولا تؤثر فيها مطلقا . فأمامك أحد أمرين : فإما عقابها بنحو ما قلت ، وإما أخذها بالحيلة . وأما هذا الدعاء فيَحُطُّ من كرامتك بين الناس . والسيدةُ الأوربية تدعو ابنتها ، وتوقفها أمامها ، وتكلمها فى ذنبها بما تفهمه ، وتبينُ لها عيوبها ، وتُهدِّدها إنْ دعت الحال ، وتنفِذُ فيها عقابها . وكل ذلك يؤثر فى الطفل إذا تم بنظام وتَعَقُّل

الأختان

كان لأحد الناس ابنتان : ربى كُبراهما بالمنزل ، فلا تعرف غير الطبخ ، والكنس ، والمسح ، وخدمة البيت . وكان للصغرى حظُّ الذَّهاب إلى المدارس ، فتعلمت القراءة والكتابة والحساب ، ونالت الشهادة ، ثم دخلت مدرسة المعلمات، فحصلت على شهادتها أيضاً ، وصارت مُدرِّسة بإحدى مدارس البنات . وكان أبوهما يجلس إليهما، ويُنْصِتُ لِمَا يدور بينهما من الحديث والمباحثة . فيقع النِّضال والخلاف بينهما بحكمة ما بين عقليْهما من التباين ، فكان كثيراً ما يُصلح بينهما . فدار الحديث يوماً كما يأتى :

الكبيرة — إن ابنتى منذُ رأتها بائعة البلح ، لم تفِقْ من المرض ، فكأنَّ عينها سهم قد أصاب أحشاءها !

الصغيرة — لا يا أُختى أنت تظلمين هذه المرأة ، وإنما الذى أَمْرَضَ ابنتك هو البلح الكثير الذى أكلته

الكبيرة — كُلُّنا يأكل البلح وكل الأطفال تأكله ، فهذا سبب غير صحيح

الصغيرة — إن الأطفال الصغار يجب ألا يُكثروا من أكل البلح ، لا سيما غير الناضج منه . إن ابنتك لا يمر بائع بالباب حتى

تستوقفهُ وتشترىَ من مَبيعاته القَذِرة ما يُفسد معدتها ، وأنت تساعدينها على ذلك

الكبيرة — هل تُنكرين العين ، وقد مَرِضْتِ يومين بعد ما خَرَجَتْ من عندنا جارتنا وابنتُها ، وكنتِ لابسة ملابسَ جميلة ، وتتكلمين بأفصح عبارة عن مدرستك وراتبك فيها ؟

الصغيرة — أنت واهمة يا أُختى : فإنى لم أَمْرَضْ إلا من تساهلى بعد الخروج من الحمام الحار . فقد لبست بسرعة لأقابل هذه السيدة ، وقعدت أمام النافذة وكانت مفتوحة ، فحصل لى ما حصل . فيجب أن تبحثى دائما عن الأسباب الحقيقية وتَطرَحِي الأوهام

الكبيرة — هذا لا يمكن ، ولا أرجع أبداً عن التبخر بالبَخُور كل ليلة ، لمحاربة العين الخبيثة

الصغيرة — إن هذا البخور جميل الرائحة ، ومن خواصه أنه يُدْفِئ المحِل ، فترتاح الأجسام إليه وإلى رائحته . فهذا سِرُّ البخور وليس له تأثير فى العين كما تعتقدين . هذا وإنى متكدرة لعدم كنس البيت وتنظيفه يوم الجمعة ، وهو اليوم الذى يرتاح فيه والدنا فيجده قَذرًا :

الكبيرة — يستحيل أن نكنُسَ يوم الجمعة لأن هذا حرام

الصغيرة — إن اعتقادك هذا هو الحرام بعينه . ولا يليق أن نجلس والغرف من حولنا قذرة ، لاعتقادٍ لا قيمة له . نعم يحسن أن نجتنب العَجْن والغَسْل فى يوم الجمعة ، ولكن لا لهذا المُعْتقَدِ الفاسد ،

بل لأنه يوم الراحة للجميع ، وفيه يكون والدنا معنا طول النهار

الكبيرة — بنات المدارس لهنَّ أفكارٌ غريبة ، فلا يُصَدِّقْنَ بملائكة تَنْفِرُ من الكنس ، ولا بعفاريتَ تسكنُ البيوت ، بل لهن تآويلُ شتَّى فى ذلك !

الصغيرة — من العيب يا أُختى وقد بَلَغت هذه السن أن تخافى من وجودك وحدك بالمطبخ لَيْلاً خَشْيَةَ العِفْريت ! وأغربُ من ذلك أنك تَصْحَبِين ابنتك الصغيرة لتحميَك منه ، ولا تستطيعين الذهاب بدونها ! فهل يعجزُ عفريتُك الوهميُّ أن يضرَّك وهى معك ؟ مِسكينة هذه الطفلة : تَبُثِّين هذه الفكرة فى ذهنها من الصغر فتكبر معها كما كبرت معك . فلا عفريت يَشُقُّ الحائط فيظهر منه ، أو يخرج من الارض فَيَخْطَف الناس . ولم نسمع أن حادثاً كهذا قد وقع ، اللهم إلا فى الأقاصيص الخرافية . فان كنتِ لا تُشْفِقين على نفسك من هذه الأوهام ، فارحمى ابنتك ، ولا تُلَقِّنيها إيَّاها

وما زالت الفتاة المتعلمة تلقى على أُختها الجاهلة أمثالَ هذه الدروس ، حتى نجحت فى إخراجها من الظلمات إلى النور ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

السعادة المنزلية

ما لذةُ العيش بكثرة المال، ولا تَعَدُّدِ الخدم والحَشَم : فكمْ مِنْ منزل لا يَرُوقك مَنْظَرُهُ ، وهو فى الحقيقة جامِعٌ لأسباب الراحة وهَناءةِ العيش والسعادة . وكم من قصر مُنِيفٍ تُرَى عليه آياتُ الجلال والجمال ، تَكْنُفُه الحدائق الغَنَّاء ، وتجرى من تحته الأنهار ، وتُغَرِّد على أفنان أشجاره الأطيار ، تَخْضع لربه رقابٌ وتَعْنو له وُجوهٌ ، ولكنه قد حُرِم هو وأفرادُ أسرته لَذَّةَ الحياة ونعيمَ العيش

أتعرفين أيتها الفتاة مَنْشَأَ السعادة فى البيت الأول على حَقارته ، وسببَ التَّعْسِ فى الثانى على اتساعه وعظمته ؟ إن معظم السبب يرجع إليك فى كِلْتا الحالتين . فربة البيت هى بمثابة الرُّوح من الجسد : فكما أن الروح هو الذى يَنْشُر الحياة فى الجسم ، كذلك السيدة فى منزلها ، فهى رُوحهُ الذى به يحيا ، والنور الذى يَسْطَع ، فيضئ كل ركن من أركانه . وهى له أيضاً كالقلب للجسم ، فاذا سكنت حركتها انقطعت حياته . وهو لا يَعْمُر ، ولا يُسْعَد أهله ، ولا تنتظم شؤنهم ، إلا إذا كان مشمولا بِرِعاية سيدة عاقلة ناضِجة الفكر ، سَدِيدَة الرأى . وعلى نسبة عقلها وتدبيرها تكون درجة ارتقائه وانتظامه :

فإن كانت السيدة مُثَقَّفَةَ العقل ، نشيطة ، مُدَبِّرة ، حَسَنة التصرف فى مالها وَخَدَمها وَعَشيرتها ، كان لمنزلها من وراء ذلك من أسباب السعادة والراحة ، ما يُغْبَطُ عليه مهما كان صغيرًا حقيرًا ، وكان هـذا مُشَجِّعًا لزوجها على احتمال المصاعب والمتاعب فى سبيل العمل فى معترك الحياة . أما الكسلانة النَّئُوم ، المعتمدة على الخدم ، المُبذِّرةُ لمالها ، التى لا هَمَّ لها إلا التزَيُّن والوقوفُ أمام المرآة ، واستقبال الزائرات ، وردُّ الزيارات ، فبيتها مُهْمَلٌ قَذِر ، وأولادها فاسدو الأخلاق لعدم من يُراقب شؤونهم ، ويلاحظ أحوالهم النفْسِيَّة ، اللهم إلا الخدم وهم على ما نعلم من سُقُوط الآداب وانحطاط النفوس

ومن نتائج هذا الخلل العام أيضاً أنَّ ربَّ البيت يكره أن يَأْوِىَ إليه ، لأنه ليس جامعاً لأسباب راحته . فلا يجد الطعام حين يطلبه مثلا . وإذا دخل غرفة ألقاها قَذِرَةً غير مرتبة ، لإهمال السيدة أمْرَ الخدم ، والقِيامَ عليهم ، لاشتغالها بأمر نفسها ، وإفْراطها فى تدبير شخصها

فَحَذَارِ حَذَارِ أيتها الفتاة من مثل هـذا . وادأَبى على العمل بنفسك ولا تهملى ، فَرُبَّ إهمال جرّ وبالاً . ولا تَرْكنى إلى الخدم ، واسلكى سبيل الهمة والرشاد ، تفوزى برضا الله والناس أجمعين . ولمثل هذا فلْيعمل العاملون

الاستقلال المنزلى

نبيلة — هل تزورك فريدة كثيرًا ؟

زينب — نعم تزورنى كثيرًا ولكن لا أرد لها زيارتها لأنى غير راضية عن سلوكها معى

نبيلة — ولماذا ؟ إنى أعلم أنها تحبك حبا جما

زينب — لقد عرفتها ذات وجهين: تظهر المحبة أمامى ثم تتكلم بما يؤلمنى فى غيابى

نبيلة — أظنك مخطئة يازينب ، أو ربما أوقعَ بينكما من يَحْسُدُكما على صداقتكما

زينب — لا بل بلغنى ما تقول ممن لا أشك فى صدق روايته. وقد كنت أرسل إليها فى طلب بعض الأشياء المنزلية ، وما كان ذلك إلا لامتناع التكلف من بيننا ، وما كان لهذه السيدة من المكانة فى نفسى ، فكانت تقابل عملى هذا بالانشراح

نبيلة — وهل كانت فى كل مرة تبعث إليك بما تطلبين ؟

زينب — نعم . ولكن كانت كلما ضَمَّها مجلس تقول إنها متضايقة جدًّا من مطالبى الكثيرة . وكانت تَهْزَأ بى وتَسْخَر . فاذا كانت معى لا تَدَّخر وُسْعًا فى ملاطفتى ومؤانستى !

نبيلة — حقا إن هـذه أخلاق لا تليق بالسيدات الطيبات . فكان ينبغى أن تستُر لك هذا العيب ، لأن استعارة الأشياء المنزلية فى رأيى عيب ونقص ، وليس أحلى من الغنى عن الناس

زينب — ولـكنها هى التى كانت تسهّل لى هذه الاستعارة ، فلا تسألى عن مقدار عَجَبي من انقلابها وتغيرها !

نبيلة — إن المرأة المنافقة ذات الوجهين ضارة جدًّا ، ويجب الاحتراس منها والابتعاد عنها . ولـكنك يا زينب كنت مخطئـة فى هذه الاستعارة

زينب — وما ذا كنت أعمل وأنا فى حاجة إلى كل هـذه الأشياء ؟

نبيلة — من النساء من تفضل أن تبقَى فى حاجـة عن أن تقترض ولو من أُختهـا . وقد كان بالاقتصاد يمكنك الحصول على كل ما ينقصك شيئاً فشيئاً

زينب — إنى أُقرض جارتى أحيانًا شيئاً من العسل أو البُن أو المخلّل أو غيرها

نبيلة — إنى لا أنظر الآن إلى جارتك بعـين الاحترام : إذ من الأَيقان ألا تُزْعج الواحدة جارتها كلَّ يوم بمثل هـذه المطالب . أما الهدية فلا بأس بها . ولقد كنا نتعلم الاستقلال المنزلى فى المدرسة بطريقة لطيفة ، إذْ كانت إحدانا إذا طلبت نَشَّافَةَ الأخرى أو قلمها

أو مسطرتها مثلا منعتها معلمتنا ، وحتّمت أن يكون لدى كل تلميذة جميعُ أدواتها . فهى بذلك تنبهنا الى فضيلة الاستقلال المنزلى

الجنة تحت أقدام الأمهات

عمّتي من أعرف السيدات بالواجب عليها نحو زوجها وأولادها وبيتها . فهى لذلك سعيدة محترمة محبوبة : تقوم فى الصباح مُبَكِّرة والكل نِيامٌ ، فتتحرك بِتؤَدة وهدُوءٍ حتى لا يَشْعُرَ بها أحد . ثم تذهب فتُصلحُ من شأنها وتصلى . فاذا حان الوقت، أيقظت أولادها بلطف لأنها تخشى عليهم الانزعاج . فإذا قاموا واشتغلوا بإعداد أنفسهم للخروج كلٌّ إلى وِجْهَتِه ، شرعت تهيئ لهم طعام الإفطار ، فيجلسون جميعاً على المائدة فيأكلون ويتحادثون بكل فَكِيهة مُسْتَمْلَحَة . فإذا خرجوا وتركوها وحدها أخذت فى ترتيب الأثاث وتنظيفه . ثم تتفرغ للطبخ ، فتجهّز الطعام بيدها مع الحرص على نظافة ملابسها . فإذا تم الطعام أعدّت نفسها لاستقبال زوجها وقد رجع من شغله تَعِبا مجهودا . فيرى الدار ساكنة ، هادئة ، نظيفة ، مرَتّبَة . فإذا جلس للطعام لايسمع إلا أحاديث سارّة وأقوالا مُرِيحة ، فلا شكوى ولا عتاب ولا تَضَجُّر . ثم تتولى بعد الغداء تنظيف المائدة وغسل الأوانى ، ثم تستريح . فإذا رجع أولادها من المدرسة ،

استقبلتهم بالبشاشة والهَشاشَة ، ونظرت فى أمر راحتهم ، سائلة كُلا عما تَمَّ له فى يومه الدِّراسى . فإذا جَنَّ الليل رفْرَفَ على بيتها السلام ، وشَمِلَتْهُ السعادة . وهكذا الأمهات الصالحات ، وبمثل هذا تكون « الجنة تحت أقدام الأمهات »

الجنة تحت أقدام الأمهات